

آفاق النضال الشعبي العربي عالمياً

المنتدى الاجتماعي ومنتدى المقاومة وتعزيز الخطاب الجذري

. هشام البستاني *

الشعوب في مواجهة الإمبريالية: أفقية الحركة وضبايتها

بعد انهيار المنظومة «الاشتراكية»، وانفراد الإمبريالية (الأميركية تحديداً) بالساحة الدولية، لم يعد اجتماع المجموعات المنضوية تحت شعارات «مناهضة العولمة» و«مناهضة الحرب» ترفاً أو مبادرة أخرى لاجترار الكلام وإضاعة الوقت.

ذلك أن هذه المجموعات هي حالياً القوة الوحيدة الموجودة في مواجهة العدوان والهيمنة والاستغلال. ويقليل من التحليل نجد أنفسنا أمام مسألة «حياة أو موت» للشعوب إن لم تنجح هذه المجموعات في تنظيم نفسها جذرياً والارتقاء بطروحاتها وأليات عملها إلى مستوى المهمة التاريخية الملقاة على عاتقها. والفريد في هذه القوة المواجهة أنها قوة شعبية صرفة إلى حد بعيد، غير مرتبطة بحكومات أو أنظمة، وغير مرتبطة بسلطة أو مركز هيمنة، وترفض «السلطوية الهرمية» كبنية تحكم أليات عملها. بل إن قوتها الأساسية هي في كثافة واتساع انتشارها الأفقي وانعدام البعد العمودي في هيكلتها. وهذا ما يشكل ضماناً معقولة ضد انحرافها بكليتها، ويضمن مشاركة جماهيرية واسعة في جميع دول العالم، ويكفل نشوء تحالفات عريضة

لتيارات مختلفة ومتنوعة تمثل في حد ذاتها قوة للحركة. والحق أن هذه الإيجابيات شكلت إضافة نوعية إلى التراكمية التاريخية لحركات المعارضة العالمية التي بدأ تراؤها الحديث بعد الحرب العالمية الثانية، فاخفت إلى حد بعيد الخطابية والشعاراتية والتعبوية والشعبوية التقليدية ليحل محلها نقاش في البدائل والآليات والدراسات الموثقة والمعلومات والأرقام.

ولكن نقطة القوة هذه هي في الوقت نفسه نقطة ضعف كبيرة: فالانتساع والانتشار والتنوع تصعب الاتفاق على ما هو أبعد من الشعار. هكذا تخطط الأصوات دون تناغم، وتنشأ أنواع من المسارات المختلفة العمق المتوازية الاتجاهات دون أن تشكل قوة دفع كبيرة مركزة في نقطة واحدة.

المنتدى الاجتماعي العالمي: برج بابل جديد وسوبرماركت كبير

تأسس المنتدى الاجتماعي العالمي^(١) بناءً على فكرة جاءت من نشطاء برازيليين لتنظيم مؤتمر للمجموعات التي كانت تتواصل شبكاتياً وعلى الأرض منذ العام ١٩٩٨ (التعبئة ضد «الاتفاقية المتعددة الأطراف للاستثمار» (MAI) والعام ١٩٩٩ (مظاهرات سياتل

العارمة التي نجحت في وقف اجتماع منظمة التجارة العالمية). وحملت الفكرة إلى الفرنسي النافذ بيرنارد كاسين، رئيس تحرير لوموند ديپلوماتيك ورئيس منظمة أتاك ATTAC الساعية إلى فرض ضرائب على التحويلات المالية التي تشكل آلية العمل الأساسية لـ «العولمة». هكذا تقرر عقد المؤتمر الأول عام ٢٠٠١ في مدينة بورتو أليغري في البرازيل، وأنشئ لذلك أول مجلس تنظيمي ضم المنظمات الثماني التي وقّعت على «اتفاقية التعاون» (وهي كلها منظمات برازيلية باستثناء «أتاك» الفرنسية). هذه المنظمات ستصبح فيما بعد الأكثر نفوذاً داخل المنتدى الاجتماعي، وستفرض رؤيتها وأجندتها على ما غدا أكبر تظاهرة لمناهضة العولمة في العالم.

لكن المنتدى الاجتماعي لم يكن مصمماً لأن تجلس المجموعات «معاً» بل «متجاورة»، لكل منها مساحتها الخاصة التي لا تتقاطع في الغالب مع مساحات الآخرين. وهو ما أدخل على المنتدى وفعالياته عنصر العزلة. فالفقرة الأولى من «إعلان المبادئ» تقول: «إن المنتدى الاجتماعي هو مكان اجتماع مفتوح للتفكير، وللنقاش الديمقراطي للأفكار، وللتبادل الحر للخبرات... من

* طبيب أسنان، وناشط في مجال مقاومة التطبيع ومقاطعة المصالح الأميركية والداعمة لـ «إسرائيل».

لقد تحول المنتدى الاجتماعي العالمي إلى
شكل سلطوي قمعي يشبه بنية الإمبرياليات
الصناعية التي يدعي أنه يعارضها

«التقيّد به» و«احترامه». ففي وثيقة «القرارات المتخذة في اجتماع پورتو أليغري، البرازيل، كانون الأول ٢١ و٢٢، ٢٠٠٣» (وهي لا تتجاوز بحجمها نصف صفحة A4 تحتوي تسع نقاط)، تردّ عبارة «الالتزام بإعلان المبادئ» ثلاث مرات.^(٥)

وفي حين يتم التأكيد على أنّ المنتدى الاجتماعي ليس سلطويًا ولا يشكّل «بؤرة للقوة»، فإنّ «المجلس العالمي» [وهو الذي شكّله المنظمات البرازيلية السبع والمنظمة الفرنسية الواحدة] يهيمن تمامًا عليه وبدون تفويض من أحد. فقد تم عقد أول اجتماع للمجلس العالمي أوائل ٦/٢٠٠١ وأعطى لنفسه الحقوق التالية: «سيتشكل المجلس العالمي بصفته جسمًا دائمًا... وسيلعب دورًا قياديًا في تحديد سياسات الخطوط العامة والاتجاهات الاستراتيجية». وورد في الوثيقة نفسها أنّ «المجلس العالمي سيقدم الاقتراحات حول ضمّ أعضاء جدد...»^(٦) في حين تبين وثيقة «قوانين عمل المجلس العالمي للمنتدى» أنّ «قبول أيّ عضو جديد سيعتمد على الموافقة على إعلان

المحتومة. وفي منظرٍ ساخرٍ التقطته الصديقة زينة صفير على كاميرا الفيديو الخاصة بها، يُكشّف المشهد السوريالي/الواقعي لـ «ساحة الحوار» هذه: فأمام المدخل الرئيسي للمنتدى، يمرّ جميع الداخلين من فوق جدول من المياه الأسنة يجري في خندق يمتدّ بطول شارع «الويسترن اكسپرس هاي واي» الذي يقع عليه موقع NESCO حيث عُقد المنتدى، ويتفرجون على مجموعات من البشر تستحمّ وتغسل ملابسها في هذه المياه دون مبالاة، في حين أنّ موقع NESCO نفسه هو مصنع كبير حولّه صاحبه إلى مكان لعقد المعارض والمؤتمرات الضخمة بعد أن طرد عمالّه وانتقل بآلاته إلى ولاية أخرى بحثًا عن عمالة أرخص وقوانين أنسب!

ورغم أنّ الفقرة التاسعة من إعلان المبادئ تقول إنّ «المنتدى الاجتماعي سيكون منتدى مفتوحًا للتعددية ولتنوّع النشاطات...» فإنّ الفقرة نفسها تلغي هذا التعدد المفترض باشتراطها الالتزام «بإعلان المبادئ»^(٤) الذي يتحوّل إلى إنجيل جديد من فرط التأكيد المستمر في كل وثائق المنتدى على ضرورة

قيل مجموعات وحركات المجتمع المدني المناهضة للنيلولبرالية ولهيمنة رأس المال على العالم ولاي شكل من أشكال الإمبريالية»^(١) لكنّ الفقرة السادسة من إعلان المبادئ تُقتل أيّ فرصة لتمخّص شيء ما عن هذا «التبادل الحر» و«النقاش الديموقراطي». فهذه الفقرة تنصّ على: «أنّ اجتماع المنتدى الاجتماعي لا يمثّل ولا يتحدث باسم المنتدى الاجتماعي كجسم... إنّ المشاركين في المنتدى لن يُستدعوا لأخذ قرارات كجسم واحد، سواء بالتصويت أو الإجماع، على بيانات أو مقترحات عمل مُلزِمة للكلّ أو للأغلبية...»^(٢) وقد تصاعدت هذه العزلة إلى أعلى مستوى في اجتماع مومباي الأخير، إذ عُقدت يوميًا ٣٠٠ ندوة و١٢ مؤتمرًا عامًا، وفاق المجموع العام للجلسات ١٢٠٠، عدا الأنشطة الثقافية وعروض الأفلام والمعارض والمظاهرات، ضاع فيها المشاركون الذين بلغوا رسميًا ثمانين ألف شخص يمثلون ٢٦٦٠ منظمة من ١٣٢ بلدًا!^(٣) إنّه سوبرماركت كبير، برج بابل جديد، يتحدث فيه الجميع ولا يسمع أحدٌ أحدًا: هذا ما آل إليه المنتدى الاجتماعي العالمي، وهذه هي نتيجته

١- ٢. World Social Forum Charter of Principles, http://forumsocialmundial.org.br/main.asp?id_menu=4&cd_language=2.

٢- http://forumsocialmundial.org.br/noticias_01.asp?cd_news=954

٤- World Social Forum Charter of Principles، مذكور سابقًا.

٥- http://www.forumsocialmundial.org.br/dinamic.asp?pagina=ci_resolucoes_23jan

٦- IC-Nature, responsibilities, composition and functioning, http://forumsocialmundial.org.br/main.asp?id_menu=3_2_2_1&cd_language=2

المبادئ وتطبيقه في عملياته اليومية [القانون السابع]»^(١) وينص القانون الحادي عشر على أن «المبدأ الأول هو أن المجلس العالمي هو المسؤول عن أخذ القرارات السياسية فيما يتعلق بصيرورة المنتدى الاجتماعي»^(٢) وبذلك احتكرت المنظمات الثماني المذكورة صياغة الاستراتيجيات العامة للمنظمات والأفراد المشاركين في المنتدى الاجتماعي العالمي ودون تفويض منهم على الإطلاق.

لقد تحول المنتدى الاجتماعي (كإطار لا كمشاركين) إلى شكل سلطوي قمعي يشبه البنية القمعية للإمبرياليات الصناعية التي يدعي أنه يعارضها. فثمة قيود شاملة على المستوى «الكلي» وإطلاق للحريات «الجزئية» إلى أقصاها. لقد تحول المنتدى من اليسار (كموقع لا كطرح إيديولوجي) إلى الوسط، وهو ما يُمكن استنتاجه أيضاً من الظواهر التالية:

١ - التصاعدُ الشديدُ لدور المنظمات غير الحكومية NGOs ونشاطاتها داخل المنتدى المذكور، حيث غلبت أجنداتها على أروقة المنتدى: من قضايا الجندر والمرأة والطفل والحرية الجنسية

والأقليات، إلى تناول هذه القضايا خارج الإطار العام للبنية القهرية للإمبريالية وبمعزلٍ عن ربطها بعضها ببعض (فالورش معزولةٌ بعضها عن بعض أصلاً لهذه الغاية!)، وبدون الإشارة إلى بدائل أو أنساقٍ تغييرٍ حقيقيةٍ ترتبط بالحركة الشاملة للشارع الأممي ضد الإمبريالية. وفي المقابل تقلص دور المنظمات الشعبية ذات الطابع السياسي التضامني التي تغلب الأولويات، وترى في التناقضات مستوياتٍ أساسيةٍ وفرعيةٍ فتغلب الأولى على الثانية، وتعمل بنسق مترابط كلي. لهذا غابت أو غُيّبت القضايا الأساسية: فبين ما يزيد عن ١٢٠٠ مؤتمر وورشة عمل وشهادة، جاء نصيب قضية العراق (القضية رقم ١ في العالم الآن) رقماً يثير الشفقة: تسعة. أما القضية الفلسطينية فجاها نصيبها ١٤ ندوةً.

٢ - استبعادُ منظمات راديكالية من المشاركة، وذلك بقرار من اللجان التنظيمية. وبهذا ترسخ الاستبعاد والإقصاء، وتوضّح زيف التعددية والتنوع، وتكرس تشكّل «قيادة» غير منتخبة وغير شرعية هي «المجلس العالمي» يلعب مزاجها - المحكوم بعوامل تصالحية مع اقتصاد السوق

والعولة والإمبريالية - دوراً انتقائياً. والأخطر من كل هذا، تكرر رفض النضال المسلح كخيار شعبي شرعي يمتلك أولويةً ومصداقيةً أعلى (كالمقاومة في العراق وفلسطين)، وتم اعتماد نسق «السلمية» و«اللاعنف» في النضال ضد الإمبريالية بشكل إطلاقي في كل الأحوال وكل الظروف.^(٣) وكنتييجة مباشرة لهذا القرار انشقت منظمات عديدة معلنة عن تشكيل «منتدى المقاومة» (تأتي تفاصيله لاحقاً).

٣ - تكرس شعارات وعناوين مائعة، وطرحها كبدايل «تقدمية» نهائية لواقع العالم الحالي. أول هذه الشعارات هو: «عالم آخر ممكن» دون تحديد بديل واضح لآليات «العولة» والسياسات الإمبريالية في العالم، بل ومن دون تحديد موقف واضح من النظام الحالي! أما على الصعيد السياسي فحدث ولا حرج؛ فالشعارات التضامنية مع العراق وفلسطين هي على الشاكلة التالية: «لا للحرب» مع ما في هذا الشعار من إغفال للعدوان والغزو اللذين حصلا بوقائع محددة وبمجرمين معروفين، لمصلحة موقف عمومي لاتعيني، بينما يقتضي الواقع الموضوعي في حالة

١ - ٢ - Rules for the operation for the World Social Forum International Council, http://forumsocialmundial.org.br/dinamic.asp?pagina=ci_regras_miami_ing

٣ - يرد في الفقرة التاسعة في إعلان المبادئ (مرجع مذكور أعلاه): «لا يُسمح بالتمثيل الحزبي أو للمنظمات العسكرية بالمشاركة في المنتدى.» وتقول الفقرة الثالثة عشر من الإعلان إن «المنتدى الاجتماعي العالمي يسعى لإيجاد وتقوية الروابط المحلية والدولية بين المنظمات والحركات التي... تدعم انتشار المقاومة الاجتماعية اللاعنفية.»

غلبتُ أجناداتُ المنظّمات غير الحكومية على
المنتدى الاجتماعي العالمي، وتقلّص دور
المنظّمات الشعبية ذات الطابع السياسي

عملية بناء حركة عالمية قوية مناهضة للإمبريالية بتركيز واضح وغير غائم.» ويهدف المنتدى إلى «تطوير أفق يدفع بالحركة إلى الأمام، موحّداً كلّ القوى المناضلة، بغض النظر عن أشكال النضال التي تختارها لمواجهة وهزيمة الإمبريالية في النهاية...»^(٤) وهذه الملاحظة الأخيرة تشكّل افتراقاً مهماً عن توجّهات قيادة المنتدى الاجتماعي من حيث عدم تعاطي هذه الأخيرة مع الكفاح المسلّح ومنظّماته، واعتمادها «المعارضة السلمية» خياراً وحيداً ومُطّلقاً لمواجهة العوالة.

الافتراق الثاني يتركز في طبيعة الخيار البديل ومدى وضوحه. فمنتدى المقاومة يقف من أجل «بنية اقتصادية – اجتماعية بديلة، محدّدة بجذرية، مبنية على أساس الاعتماد على الذات، والتوجّه نحو نظام اشتراكي حقيقي، وإحداث قطع مع/ وانعتاق من/ كلّ أشكال التحكم والهيمنة والإخضاع التي تمارسها الإمبريالية ومؤسسات النظام الرأسمالي العالمي...»^(٥) الافتراق الثالث هو: لا وجود «للإسرائيليين» في منتدى المقاومة أبداً.

٤ - مشاركة منظمة صهيونية حتى النخاع في تنظيم ورشات المنتدى الاجتماعي، وهي مركز سايمون ويزنثال. فقد نظم هذا المركز ورشة ضمن هذا المنتدى بعنوان: «الكراهية الإلكترونية: ترويج اللاتسامح من خلال الإنترنت»، وتتحدّث عن الجهود الإلكترونية الجبّارة (والمؤثّرة كما يبدو) في دعم القضية العربية، التي يصفها المركز باستمرار بـ «اللاسامية».

منتدى مومباي للمقاومة ٢٠٠٤:
دفع الحركة إلى الأمام

على الجانب الآخر من مكان انعقاد المنتدى الاجتماعي العالمي، وفي الفترة نفسها، انعقد منتدى مومباي للمقاومة، وكانت شعاراته الأساسية: «لنجدّ نضال الشعوب»، «قاوموا العوالة»، «حطّموا الإمبريالية»، و«لنبن عالماً للشعوب». شارك في هذا المنتدى أربعون منظمة عالمية، في حين شارك من الهند وحدها ٢٦٤ منظمة.

يصف منتدى المقاومة نفسه بأنّه اجتماع «مستقلّ عن/ وموازٍ ل/المنتدى الاجتماعي العالمي»، وبأنّه «جزء من

العدوان على بلدٍ ما من قبل الإمبريالية أن يكون الشعار الحقيقي هو «نعم للحرب» من حيث هي حربٌ مقاومةٌ وتحرير. أو خذ شعار «لا للاحتلال» أو شعار «نعم لإنهاء الاحتلال في العراق وفلسطين»، وكلاهما لا يحدّدان أنّ المقاومة هي السبيل الوحيد لإنهاء الاحتلال.^(١) ولا يكفي في هذا السياق المطالبة والعمل من أجل «إسقاط أنظمة بوش وبليزر» (كما يحلو القول لأغلب قيادات منظمات التضامن المختلفة): فواهم من يعتقد أنّ الإمبرياليات تتغيّر بتغيّر موقع الرئيس فيها، ومن يراهن (مثلاً) على قيادة «ديمقراطية» في الولايات المتحدة أحيله على كتاب مايكل مور رجال بيض أغبياء، حيث يعدّد في أحد فصوله منجزات عهد بيل كلينتون الديموقراطي ويخلص إلى أنّه أشدّ محافظاً من جورج بوش الابن نفسه!^(٢) يقول مور: «إنّ بوش [الابن] ليس إلّا الصورة الأبعث والأكثر لؤماً لما كان عليه الوضع أصلاً خلال التسعينيات، باستثناء أنّه في ذلك الوقت كان الأمر مغلفاً بابتسامة ساحرة من رجل يعزف ألحان السول على الساكسفون!»^(٣)

١ - راجع في ذلك مقالتي: «لنجدل من ٢٠ آذار يوماً لدعم المقاومة في العراق»، <http://www.iraqpatrol.com/php/index.php?s=e1a8b8f6c17e33371dcfab3563f596f&showtopic=918>.

٢ - ٣ - ٢٠٠٢، Michael Moore, Stupid White Men (London: Penguin Books, 2002) p. 209 - 228, 211.

٤ - ٢٠٠٤، Mumbai Resistance-2004 [brochure], January 14, 2004, 3rd ed., p. 2.

٥ - نفسه، ص ٣. ولزيد من المعلومات أنظر: www.mumbaioresistance.org

وهم غير مرحّب بهم، إذ تتبنّى الوحدات المنضوية في إطار منتدى المقاومة خطاً مقاطعاً للمنظمات والمجموعات الصهيونية و«الإسرائيلية»، وتُنظر إلى «إسرائيل» بصفتها كياناً غير شرعي تجب إزالته... وإنْ كانت هناك خلافات نظرية حول «البديل» الذي تجب إقامته مكانَ هذا الكيان («دولة ديموقراطية علمانية» أو «التحرير الكامل ضمن البعد العربي...» إلخ).

لكنّ هذا لا يعني فتح معركة مع المنتدى الاجتماعي العالمي؛ فهذا المنتدى على علاته أسس نفسه على مدى السنوات الأربع الماضية كأكبر تجمعٍ مناهضي «العولة»، وهو يَحصد مشاركةً سنويةً متزايدة. إنْ مهمة القوى الجذرية المناهضة للإمبريالية هي تكثيفُ حضورها داخل المنتدى الاجتماعي، ومحاولةُ خلق أقصى ما يُمكن من الاستقطاب الداخلي هناك. فالحال أنّ مجموعات كثيرةً من تلك المشاركة في المنتدى الاجتماعي غير راضية عن التوجهات والممارسات الحالية لـ «قيادته» ولا عن الانحراف التي تمارسه هناك بدون تفويض من أحد.

العرب في مومباي : ممولون أجنبياً وأصدقاء للـ «إسرائيليين»
ربما تُكمن الصدمة الكبرى لاجتماعات مومباي في حجم المشاركة العربية وطبيعتها ونوعيتها. ففي منتدى المقاومة،

شاركتُ منظمّتان عربيتان فقط على مستوى تبني النسق النظري العام (وهما منتدى الفكر الاشتراكي في الأردن، والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان). أما فيما يتعلق بالمشاركة الفعلية بالحضور، فقد شارك عربي واحد فقط هو كاتب هذه السطور، قَدّم ورقتي عمل في جلسات المؤتمر الإثنتي عشرة.

أمّا في المنتدى الاجتماعي العالمي فقد سيطرت المنظمات العربية الممولة أجنبياً على الساحة، في ظلّ غياب كامل للمنظمات العربية الشعبية ذات الطابع السياسي. وتحوّلت القضية العربية إلى قضايا أقلييات وحقوق عمّال وحماية دولية للفلسطينيين في «إسرائيل». وحملت الندوة الرئيسية التي نُظمت حول الوضع في المنطقة عنوان: «احتلال العراق والمشكلة في فلسطين وأفغانستان»، وكان لا احتلال في فلسطين وأفغانستان ولا منْ يحزنون!

وعلى الصعيد الفلسطيني كانت المنظمات غير الحكومية الفلسطينية هي المبادرة إلى ندوات تحمّل عناوين من شاكلة: «العراق وفلسطين والمنطقة بعد الحرب: خيارات المستقبل السلمي الديموقراطي والمخاطر المحتملة»، بتنظيم من «مواطن - المعهد الفلسطيني لدراسات الديموقراطية»، وبالتعاون مع منظمة هينريش بول الألمانية... وكانّ «الحرب» انتهت والوضع المزري في العراق وفلسطين حالياً هو الثابت

الموجود الذي يجب أن نطوّر عليه مستقبلنا «السلمي الديموقراطي»، برغم الصراع الذي يخوضه الفلسطينيون والعراقيون يومياً. وهذا العنوان ليس غريباً فحسب، بل هو مشبوه أيضاً بسبب رغبته في طرح بدائل تستند إلى الاحتلال الحالي لفلسطين والعراق كواقع أبدي لا انزياح عنه. وهي مقاربة تتفوّق على أطروحة فوكوياما حول «نهاية التاريخ»: فقد انتظر فوكوياما إلى أن أصبحت الرأسمالية قوّةً وحيدةً في العالم لي طرح شعاره، في حين لم تنتظر جماعة «مواطن» ومنظمة هينريش بول استتباب الأمر للصهاينة وأميركا في المنطقة بل أعلنتنا نهاية التاريخ هنا قبل ذلك! والمفارقة أنّه كان على العرب أن ينتظروا منظمة أميركية هي «مركز البحث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي» لتطرح عنواناً من قبيل «الإمبريالية والتحرير: العراق، فلسطين، كشمير» وتناقش مفاهيم مثل «المقاومة» و«التحرير» و«فلسطين من البحر إلى النهر» في المنتدى الاجتماعي العالمي!

يُعتبر الغياب العربي على مستوى المنظمات الشعبية الجذرية عن المنتدى خسارةً كبيرةً لها على عدة صعد، أهمّها:
١ - عدمُ اطلاعها على التطورات الكبيرة في الحركات الشعبية وآليات عملها، وعدمُ اتصالها بالكَمّ الهائل من المنظمات والنشطاء العالميين، ومن ثم عدمُ نشوء علاقات على الصعيد الأممي.

يُنْبَغِي العمل على تشكيل أطر عربية
وعالمية لدعم المقاومة في العراق
وفلسطين ومقاومة التطبيع والتسوية

والركابي حاضر بقوة في المنتدى الاجتماعي العالمي، ويُبْرَزُ على أنه الممثل الشعبي للعراق والبدل الشعبي للأطر العراقية الحالية الخاضعة للاحتلال. فهو موجود في الجلسة الافتتاحية للمنتدى، إلى جانب أحمد بن بلال والرواية الهندية المشهورة أرونداتي روي (شاركت أيضاً في منتدى المقاومة) وحاملة نوبل الإيرانية شيرين عبادي. وشارك في المؤتمر العام حول «احتلال العراق والمشكلة في فلسطين وأفغانستان». كما شارك في مؤتمر عام ومن الجدير ذكره أنّ اسم الركابي ورد مؤخراً في تصريح لمتحدث باسم رئاسة الوزراء اليابانية عن ضلوعه في صفقة يقوم من خلالها أبناء عشائر في جنوب العراق بحماية قوات الاحتلال اليابانية مقابل ٧٥ مليون يورو.^(٢) وقد نفى الركابي هذا الكلام جملة وتفصيلاً،^(٣) وإن أقرّ بعقد مباحثات مع الحكومة اليابانية (المحتلة للعراق حالياً ضمن قوات التحالف) مقترحاً احتلالاً يابانياً ناعماً للعراق ضمن صيغة طرحتها الركابي في رسالة إلى رئيس الوزراء

المنتدى الاجتماعي نظراً لوجود المنظمات غير الحكومية العربية هناك.

أما المهازل العربية الكبرى في المنتدى الاجتماعي فأبرزها:

أولاً: قيادة «الإسرائيلي» مايكل وارشاوسكي لمظاهرة فلسطين في المنتدى الاجتماعي العالمي، رغم اعتراض الأردنيين والمصريين والسوريين الشديدة. بل تطورت الأمور إلى حدّ انسحاب بعضهم من المظاهرة احتجاجاً على هذا التطبيع المباشر، بعد أن قاموا بالتحديث مع منظمي المظاهرة من المنظمات غير الحكومية الفلسطينية الذين لم يعبأوا بالاحتجاجات.

ثانياً: مشاركة العراقي عبد الأمير الركابي، الذي يقود «التحالف الوطني العراقي الديمقراطي»، في مؤتمر «احتلال العراق ومشكلة فلسطين وأفغانستان» إلى جانب الإسرائيلي مايكل وارشاوسكي.^(١) وقد أعلننا أصدقاؤنا الأوروبيون أنّ هذه ليست هي المرة الأولى التي يجلس فيها الركابي مع إسرائيليين على طاولة واحدة، بل قام بذلك في المنتدى الاجتماعي الأوروبي المنعقد السنة الماضية.

٢ - غياب المنظومات النظرية التي تحمل الخصوصيات العربية عن المفاهيم والشعارات والأطروحات النظرية في الحركة العالمية. ففي حين يُعتبر المنتدى الاجتماعي «مقبرةً نظريّةً» حقيقيةً للقضية العربية نظراً لغلبة المنظمات غير الحكومية المطلقة هناك، وعدم مشاركة أيّ منظماتٍ شعبيةٍ عربية جذرية في الورش والمؤتمرات، فإنّ «منتدى المقاومة» يُعتبر إطاراً هاماً لمناقشة التحليلات الجذرية الموجودة أساساً من خلال طبيعة المنظومة النظرية للقوى المشاركة. ولكنّ عدم وجود العرب يُضعف من هذه الطروحات، لدى مقابلتها بطروحات المنتدى الاجتماعي مثلاً حيث يوجد العرب بكثافة أعلى.

هكذا، أدى غياب المنظمات الشعبية العربية الجذرية إلى تكريس الخطاب الانهزامي التسويبي للمنظمات غير الحكومية، وإلى غياب أيّ خطاب نقیض أو بديل قادر على إحداث حالة استقطاب داخل المنتدى الاجتماعي. كما أدى عدم وجود مشاركة عربية قوية في منتدى المقاومة إلى إضعاف مصداقية خطابها الجذري حيال القضية، وإلى تكريس مصداقية غير مباشرة لخطاب

١ - نظّم هذا المؤتمر «التحالف من أجل نزع السلاح النووي والسلام»، بمشاركة عبد الأمير الركابي، حنا رشموي (فلسطين)، مايكل وارشاوسكي (اسرائيل)، جيريمي كورين (بريطانيا)، ماري روبنسون (ايرلندا)، [لم تحضر]، أحمد بن بلال (الجزائر) [لم تحضر]، ريتشارد فالك (الولايات المتحدة)، بيتر بيوديت (كندا)، نبيلة فعاني (أفغانستان) [لم تحضر بل حضر ممثل آخر عن أفغانستان]، أشين فانايك (الهند).

٢ - Japan Reportedly Pays Iraqis Euro75 Million _Protection Money_ to Guard SDF, <http://www.risq.org/article276.html>

٣ - Iraqi Expat Denies Role in Japan's Reported _Protection Money_ Scheme, <http://www.risq.org/article279.html>

الياباني وهي: «إمكانية المقاربة غير الأميركية للمساءلة العراقية من جانب اليابان، وهو ما أُطلقت عليه مقاربة الصداقة والتعاون. وهذا يتحقق بشروط هي: اعتماد خطة إعمار ضخمة تبدأ من إحياء منطقة الأهوار... والحضور السلمي [أي الوجود الياباني العسكري السلمي، تابع قراءة الفقرة]... إنني أرفض أي وجود لقوات الدفاع الذاتي اليابانية في العراق إلا في ضوء المقاربة التي ناقشناها معكم [التشديد منّا]. وإلا فأنتي أعتبرها قوات احتلال. والقوات التي ترسلونها الآن والتي ذهبت قبل أيام هي كذلك، وأنا أدعو إلى معاملتها كما تعامل القوات الأميركية بالضبط [لم يحدد ماهية وطبيعة هذا التعامل].»^(١)

أما الأشخاص الآخرون الذين يعمل المنتدى الاجتماعي على إبرازهم كـممثلين لشعوبهم فهم: الإسرائيلي مايكل وارشاوسكي الذي شارك كمتحدث في المؤتمر العام حول العراق وفلسطين وأفغانستان إلى جانب الركابي، وشارك في مائدة مستديرة حول «النيولبرالية والحرب وأهمية المنتدى الاجتماعي العالمي»: والفلسطيني مصطفى البرغوثي (من مجموعة «المبادرة» ويُطرح مسألة التعايش والدولتين) إذ وُضِعَ اسمه كمشارك في الجلسة الافتتاحية.

هذا هو ما يقدّم كـ «بديل شعبي» على مستوى العالم في المنتدى الاجتماعي. ومن هنا يبرز التحدي الحقيقي للمنظمات الشعبية العربية لاستعادة الشرعية القاعدية والنظرية، ويّضح أثرُ غياب هذه المنظمات عن تجمّعات هامة كبرى مثل المنتدى الاجتماعي العالمي ومنتدى المقاومة.

خاتمة: الخروج العربي من المازق

تكمّن المشكلة الأساسية، في ما يتعلق بما ذكرناه من ضعف الوجود العربي الجذري على الساحة الشعبية العالمية، في الأمور التالية:

أولاً: إجحام المنظمات الشعبية ذات الخطاب السياسي الجذري والانخراط الجماهيري عن المشاركة في هذه الاجتماعات الهامة، الأمر الذي يفسح مجالاً أمام الأصوات الانتهازية لتبرز كـممثل شعبي شرعي لشعوبها.

ثانياً: ضعف التنسيق بين المنظمات العربية الجذرية وعزلتها، وهو ما يَمْنَعها من تشكيل إطار دولي ضاغط داخل الهيئات التنظيمية لمثل هذه المنتديات.

ثالثاً: تساقط خطاب المشاركين من المنظمات غير الحكومية نتيجة لارتباطهم بأجندات ممولّية، الأمر الذي يجعل النشطاء المستقلين العرب يبحثون عن

تحالفات ذات سقف أعلى مع منظمات أوروبية أو أميركية في ما يتعلق بقضايا مثل فلسطين والعراق!

رابعاً: مجاملة المنظمات العربية والنشطاء العرب لنظرائهم الأوروبيين والأميركيين، وعدم دخولهم في جدل نظري معهم من منطلق أنه «يعطيهم العافية وما قصّروا واللي عملوه ما حدا بيعمله...» إلخ.

خامساً: الخرافة القائلة بضرورة وجود خطاب «مخصّص» للأوروبيين والأميركيين يختلف عن الخطاب الاستراتيجي الذي يُطرح للجمهور العربي. وهكذا يتمّ تجنب قضايا «التحرير الكامل من البحر إلى النهر» أو «دعم المقاومة المسلحة في العراق» أو «تأييد العمليات الاستشهادية».

والواقع أنّ أفق التغيير المطلوب مرتبط أساساً بعكس النقاط المشخّصة أعلاه، وبالذبح باتجاه التجذير والاستقطاب حولها:

١ - يُنبغي العمل على تشكيل أطر واسعة من التحالفات على الصعيد المحلي القطري وعلى الصعيد العربي تتبنى القضايا الأساسية الجذرية التالية وتناضل من أجلها محلياً وعالمياً:

- دعم المقاومة العراقية بكل أشكالها، وعلى رأسها المقاومة المسلحة.

١ - من رسالة عبد الأمير الركابي إلى رئيس الوزراء الياباني المنشورة على موقع التحالف العراقي الوطني الديمقراطي، http://www.sotaliraq.com/file/article_2004_01_28_4212M.html

ينبغي النضال ضد التمويل الأجنبي
في الوطن العربي وضد مؤسساته
وفروعه والهيئات العربية التي تقبضه

٣ - تنظيم ملتقيات تنسيقية مع منظمات عالمية تشترك في هذه الرؤية، وعقد مؤتمرات عالمية في الوطن العربي حول هذه المسائل.

٤ - النضال ضد التمويل الأجنبي في الوطن العربي، وضد مؤسساته وفروعه وأجنداته، وضد قابضي التمويل من المنظمات والهيئات العربية، وعزلها. ولهذا الأمر أهمية خاصة في فلسطين (الضفة الغربية تحديداً).

٥ - النضال ضد بعض المحاولات التي قامت أو ستقوم من خلال المنتدى الاجتماعي العالمي،^(٢) وبواسطة المنظمات غير الحكومية، لعمَلِ أطرٍ يدخل فيها الكيان الصهيوني، خصوصاً وأنّ الفقرة ١٢ من إعلان المبادئ للمنتدى الاجتماعي تقول: «إنّ المنتدى الاجتماعي العالمي يشجّع التفاهم والاعتراف المتبادل بين المنظمات والحركات المشاركة».^(٣)

٦ - التمسك بالخطاب الجذري في كل المواقع، والدخول في نقاشات مع التيارات والآراء المختلفة في الحركة العالمية على قاعدته.

مومباي - عمان

الأساسية المكوّنة لدولة الكيان الصهيوني.^(١)

• إعادة القضية الفلسطينية إلى بُعدها العربي، والإعلان أنّ النضال في فلسطين لا يهدف إلى إقامة «الدولة» (فلسنا بحاجة إلى الدولة العربية القُطرية رقم ١٢٣)، بل هو أحد محاور المشروع التحرري العربي الهادف إلى تصفية المشروع الإمبريالي/الصهيوني في المنطقة العربية.

• التأكيد على النضال ضد الأنظمة القمعية العربية التابعة للإمبريالية، والتأكيد على إقامة الديمقراطية الشعبية، وإطلاق الحريات العامة باتجاه الوحدة كخيار استراتيجي.

• رفض كافة أشكال التدخل في الاقتصادات المحلية، ومقاومة مؤسسات العولة وألياتها، والبدء بنقاش «البدائل» القائمة على الاعتماد على الذات وتنفيذها.

٢ - انخراط المنظمات والأطر العربية الشعبية بكثافة في الاجتماعات العالمية المناهضة للإمبريالية والعولة، والنضال من أجل إدراج الثوابت المذكورة أعلاه في أجنداتها، وتشكيل التيارات الضاغطة والتحالفات حول هذه المسائل.

• دعم المقاومة الفلسطينية بكل أشكالها، وعلى رأسها المقاومة المسلحة والعمليات الاستشهادية.

• إعلان عدم شرعية وجود الكيان الصهيوني، وضرورة تصفية هذا الكيان.

• إعلان أنّ التناقض الأساسي هو بين المشروع التحرري العربي والمشروع الإمبريالي/الصهيوني، وأنّ الصراع بينهما لا يُمكن أن يُحسم بواسطة أيّ تسوية، بل هو صراع وجود. وبهذا يُفهم أنّ أيّ تسوية مع الكيان الصهيوني لا تحقّق إزالة هذا الكيان وتصفيته مرفوضة، وأنّ أيّ مشروع يتضمّن دمج هذا الكيان في المنطقة العربية هو مشروع هيمنة وتجب مقاومته. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاحتلال الأميركي للعراق ومقرزاته.

• إعلان «مقاومة التطبيع» كثابت أساسي وفعّال لمقاومة المشروع الإمبريالي/الصهيوني لا على المستوى المحلي وحده بل على المستوى العالمي أيضاً، ورفض التعامل مع «اليسار الإسرائيلي» أو «معسكر السلام والتعايش» لكونهما من الأجزاء

١ - يراجع في ذلك مقالتي: «حان الوقت لتجذير الطروحات حول الصراع العربي الصهيوني»، في: **العرب والعولة**، ١١/٢٠٠٣، ص ٢٣ - ٢٤.

٢ - تردّ في وثائق «المجلس العالمي» للمنتدى الاجتماعي العالمي (الوثيقة حول اجتماع برشلونة، أبريل ٢٨ - ٣٠، ٢٠٠٢) مقترحات «لعمَلِ منتدى اجتماعي عالمي يركّز على الشعب الفلسطيني ويكون عنوانه: حلّ النزاعات (Resolving Conflicts)»، وقد تمّ عقده. http://forumsocialmundial.org.br/main.asp?id_mnu=3_2_2_4&cd_language=2

٣ - في: World Social Forum Charter of Principles، مذكور سابقاً.

ملحق: الفروق في الطرح بين منتدى المقاومة والمنتدى الاجتماعي العالمي(*)

نقاط الخلاف	منتدى المقاومة	المنتدى الاجتماعي العالمي
حان وقت التحرك	نقاشات مبنية على تجارب الصراع التاريخية والمعاصرة، بنيت لإدامة الصراع	نقاش انتقائي ودائم، ويُعتبر النقاش «نهائية» بحد ذاتها
تشخيص السبب الجذري	يشخص بوضوح ويستهدف النظام الرأسمالي/الإمبريالي لكونه القوة المحركة للعولمة	يعارض «العولمة النيولبرالية الإمبريالية» ولكنه يرفض القيام بتحليل واضح للقوى الدافعة لها
معارضة النظام	يؤمن بأنه لا يُمكن إصلاح النظام الإمبريالي الرأسمالي، بل يجب استبداله	يقول بإصلاح العولمة لإعطائها «وجهًا إنسانيًا»
العلاقة مع الإمبرياليين	يركز على مقاومة الإمبريالية الأكثر عدوانية، مع التأكيد على أنّ الإمبرياليين الأقل عدوانية لا يُمكن أن يكونوا حلفاء لبناء عالم جديد	يقبل مساعدات مباشرة وغير مباشرة من حكومات ومؤسسات تمويل إمبريالية، ويقبل مشاركة بعض أعضاء هذه الحكومات
الحلفاء الحقيقيون	يرى أنّ الذين يعارضون العولمة بالكلمات، ولكنهم يطبقونها على أرض الواقع، ليسوا حلفاء حقيقيين	هناك مشاركة لقوى تدعي أنها «تقدمية» في حين تقوم بتطبيق سياسات مؤيدة للإمبريالية
دور مؤسسات التمويل	يشدد على أنّ التمويل من قبل مؤسسات رأسمالية/إمبريالية، أو شركات أو مؤسسات أجنبية، لا يُمكن أن يساعد الحركات الشعبية	يتلقى تمويلًا من هيئات إمبريالية/رأسمالية مثل مؤسسة فورد وNOVIB وغيرها، وهذه المؤسسات تلعب دورًا مباشرًا وغير مباشر في الفعالية
المجتمع المدني	يرى أنّ المجتمع المدني ليس جسمًا موحدًا ذا مصلحة مشتركة، بل يُقسم إلى مضطهدين ومضطهدين بمصالح متناقضة	يُفشل في تشخيص الطبقة وغيرها من الانقسامات داخل المجتمع المدني
الصراع ضد الفاشية	يعبئ الطبقات المسحوقة والأقليات الدينية المهذبة من قبل الفاشية، ويشخص الأصولية الدينية الشمولية كخطر	لا يوجد لديه برنامج واضح فيما يتعلق بالفاشية وبمحاربتها
حواجز وتحصينات، لا جسور	يميز بوضوح بين المعسكر المؤيد والمعسكر المناهض للعولمة، ويقدم التحصينات والحواجز استعدادًا للمعركة	يتبنى غموضًا متعمدًا حيال الخط الفاصل بين المعسكرين، وكثير من القوى داخل المنتدى يتمنى بناء جسور بينهما
نضال الشعوب	يعطي الأهمية الأساسية للنضالات، وخصوصًا تلك التي تقوم بها المجموعات المسحوقة والمهمشة، ويقوم بمقاومة حقيقية مع تعبئة فعالة للجماهير	يقوم بالفاوض على طريقة اللوبيات، بدون تعبئة حقيقية حول القضايا الأساسية
أشكال النضال	لا يستثنى أي شكل من أشكال النضال؛ فأشكال النضال تحددها الشعوب والظروف. و«القتالية» (Militancy) جزء أساسي من هذه الأشكال	يستثنى «القتالية» (Militancy) والمقاومة المسلحة ويقتضي عددًا كبيرًا من المناضلين ضد الإمبريالية خارجها
«العالم الآخر»	يعرف جذريًا البديل الاقتصادي/الاجتماعي المبني على الاعتماد على الذات، والمتوجه نحو الاشتراكية، والانعقاد من كل أشكال الضوابط والهيمنة والإخضاع التي تقوم بها الدولة السلطوية والإمبريالية ومؤسسات النظام الرأسمالي العالمي	لا يقدم أي بديل منهجي للنظام القائم، ويرفض الانسلاخ الراديكالي عن النظام الرأسمالي، ويؤيد عالمًا خاليًا من سياسات السوق النيولبرالية الحرة، ولكن ليس ضد الرأسمالية